عبد الملك لعنه الله خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين وإنما أراد
أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستيصالهم في ذلك على يد أمير المؤمنين وما
جوابه عندي في خلع الطاعة إلا قول الشاعر

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا · فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم · ستحملهم مني على مركب وعر

وفي خلع ابن الأشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا إلى عبد الملك يذكر فيه خبره وشأن ابن الأشعث
وكثرتهما ويستنجده ويسأله أن يمده ويقول في كتابه واغوثاه واغوثاه واغوثاه فأمده
بالجيوش وكتب إليه يا لبيكاه يا لبيكاه يا لبيكاه والتقى الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث
بدير الجماجم وهو بظاهر الكوفة على طريق البر الذي يسلك إلى البصرة وإنما سمي دير
الجماجم لوقعة فيه كانت قبله وهي وقعة إياد على عجم كسرى على شاطئ الفرات
فبقيت هنالك جيفهم فلم يبق منهم إلا الشيء اليسير وجمعت جماجمهم ثم
بعلو هناك القوم ودفنت في ذلك الموضع فسمي دير الجماجم وكانت بين عبد الرحمن بن الأشعث
والحجاج نيف وثمانون وقعة تغلب فيها الحجاج وذلك في سنة ثلاث وثمانين ثم كانت على ابن
الأشعث فمضى حتى انتهى إلى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال في أمره إلى أن وجه
به إليه ملك من ملوك الهند مع رسله بعد أن بذل له الحجاج أموالا عظيمة فلما صارت رسل
الحجاج به باتوا على سطح مرتفع وكان قد قرن إلى رجل من بني تيم بسلسلة في أيديهما
وكان يوم مطر وهو أسير فلما كان جنح الليل قال للتميمي قم معي أبول فلما قام معه أشرف
على السطح وألقى عليه ثوبه فقال له التميمي ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلمك
ثم رمى بنفسه وبالتميمي معه فماتا جميعا فوجه الحجاج برأسه إلى عبد الملك
مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك
لا يسأله عن شيء من أمر الوقعة إلا أنبأه به عرار في أصح لفظ وأشبع قول وأجمل
اختصار وشفا نفسه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته
عينه فقال عبد الملك متمثلا هذين البيتين

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد · عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن غير واضح · فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار أتعرفني يا أمير المؤمنين فقال لا قال أنا والله عرار فزاد في سروره
وأضعف له الجائزة وذكر محمد بن يزيد أن صاحب اليمن كتب إلى عبد الملك إني قد وجهت إلى أمير
المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لم ير مثلها فلما دخلت عليه رأى وجها جميلا

١٢٤

وخلقا نبيلا فألقى إليها قضيبا كان في يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره
فلما همّ بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتابا من
عبد الرحمن فيه سطور أربعة

سائل مجاور جرم هل جنيت لها · حربا تزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب · جم الصواهل بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية · في ساحة الدار يستوقدن بالغبط
قتل الملوك وسار تحت لوائه · شجر العرى وعراعر الأقوام

فكتب إليه عبد الملك كتابا وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث

فما بال من أسعى لأجبر عظمه · حفاظا وينوي من سفاهته كسري
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم · ستحملهم مني على مركب وعر
وإني وإياهم كمن نبه القطا · ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا · فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

ويتنشق العادية ثم رجع عبد الملك يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب إلي منك
فتقول وما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك فيقول لها ما قال الأخطل لأني إن خرجت منه كنت
ألأم العرب

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم · دون النساء ولو باتت بأطهار

فما إليك سبيل أو يحكم الله بيني وبين عدو الله عبد الرحمن بن الأشعث فلم يقربها حتى قتل عبد
الرحمن الجم والفرط الكثير وقد مضى في أبيات الهاشمية موضعان وذكر المبرد في قوله
في ساحة الدار يستوقدن بالغبط قولين أحدهما أنهن قد يئسن من الرحيل فجعلن
مراكبهن حطبا وذكر أنه قول الأصمعي قال وقال غيره بل قد منعهن الخوف من الاحتطاب
فالغبط من مراكب النساء قلت وأما البيت الذي كتب به عبد الرحمن وهو قوله قتل
الملوك وسار تحت لوائه فهو لجرير ويقصد به المهلهل وإنما تمثل به عبد الرحمن ويقصد خلع
الملك ويقال إن كتابه ابن الأشعث لما قرأه عبد الملك حين وجهه إليه الحجاج وفيه

وأغر من ولد الإمام ماجد · صلت الجبين معاود الإقدام
خلع الملوك وسار تحت لوائه · شجر العرى وعراعر الأقوام

كتب عبد الملك إلى الحجاج يكفيك ما أوصى به البكري أخاه زيدا فلم يدر الحجاج ذلك فنادى
مناديه من يعرف ما أوصى به البكري أخاه زيدا فله عطية فقال أعرابي بالباب أنا أعرف
ذلك فأدخل على الحجاج فأنشده

أقول لزيد لا تثرثر فإنهم · يرون المنايا دون قتلك أو قتلي

Copyright © King Saud University